حيوانات وردت في آيات

(٥)

كَلْب أَهْلِ الكَهْف

أحمد سويلم

مكتبة العبيكان

obeikandl.com

ح مكتبة العبيكان، ١٤٢٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

لجنة التأليف والترجمة بمكتبة العبيكان

كلب أهل الكهف. -ط٢. - الرياض، ١٤٢٧هـ

٢٤ ص ؛ ١٧×٢٢سم (حيوانات وردت في آيات؛ ٥)

ردمك: ٣-٩٣٣-٤٠-٩٩٦٠

١-قصص القرآن. ٢- قصص الأطفال. أ - العنوان

ب- السلسلة

ديوي ٢٢٩,٥ ١٤٢٧/٨٦٦

ردمك: ٣-٩٣٣-٤٠-٩٩٦٠ رقم الإيداع: ١٤٢٧/٨٦٦

الطبعة الثانية

١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشر

مكتبة وشركاه العبيكان Obeikan

Publishers & Booksellers

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمـــز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ . . .وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ
وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ . .﴾

[الكهف: ١٨]

obeikandl.com

obeikandl.com

هوَ حيوانٌ شَديدُ الرِّياضة، كَثيرُ الوَفاءِ.

وهُو أكثرُ الحيوانَات تعلُّقًا بالإنسَان، وأكثرُ الحيوانَات يقظةً في وَقْتِ الحاجَةِ إلى النَّومِ.

ومن أجمَل طَبائعِه التودُّدُ والألفةُ والمداعبَةُ، وقَبولُ التَّأديبِ والتَّلقينِ والتعلُّمِ، وهُوَ معَ ذلكَ نَجسٌ؛ لأنَّهُ إذا شَرِبَ من الإناء فيجبُ غَسْلهُ سبعَ مرَّاتٍ إحداهُنَّ بالتُّرابِ ولا يجوزُ للمسلم أنْ يربيَّهُ في بيتِهِ*.

وأشهَرُ كلاَب التَّاريخ كَلبُ أهْل الكَهْف، ذلكَ الكلبُ الذي صَاحبَ الفتيةَ في كَهفهم، وكتبَ اللهُ عَليهم جَميعًا ـ ومعَهم كلبُهم ـ أنْ ينامُوا ثلاثَمائة وتسعَ سنينَ، ثم قامُوا من نَومهم كأنَّهم مَكثُوا يومًا أو بعضَ يومَ.

فَفي صَباحِ أحَد أيَّام الرَّبيع خرجَ أهلُ مدينة (أُفسُوس) إلى ساحَتها يَحتفلونَ بعِيدهم السَّنويِّ، ويُقدِّمُون القَرابينَ لأصْنَامِهم.

---

* نهى الشارع الحكيم عن اقتناء الكلب إلا لضرورة الصيد والحراسة، فقد روى البخاري (٥٤٨١) ومسلم (١٥٧٤) عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم : «من اقتنى كلباً إلا كلباً ضارياً لصيد أو كلب ماشية فإنه ينقص من أجره كل يوم قيراطان».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليرقه وليغسله سبع مرات» وفي لفظ «أولاهن بالتراب».

وكـانَ يحكُمُ المدينةَ مَلكٌ جـبارٌ ظالـمٌ يقالُ لَه (دقـيـانوس)، كانَ شـديدَ التعصُّب لعبَادةِ الأصنَامِ.

وقَد بنَى هذَا الملكُ قَصرًا فَخـمًا مُحلَّى بقَناديلَ من الذَّهَبِ والفضَّةِ، وبنَى للأصنَامِ مَعبَدًا كَبيرًا أمامَ مَقرِّه.

وكانَتْ مُـتعتُه الحـقيقيـةُ أن يرىَ مواكبَ رعيَّـته تذهبُ إلى المعبَدِ سُـجَّدًا للأصنَام، ثمَّ تعودُ تُرتِّلُ أناشيدَها كلَّ يَومٍ.

وهاهوَ يومُ عيدِهمُ الأكْبَر.

يقودُ الملكُ قومَه إلى المَعبَد، ويؤدُّونَ عبادتَهم الوثنيَّةَ، ويعودونَ.

ثم يجمعُ الملكُ وزراءَه وأشرافَ القَوم يتحاوَرونَ في شُؤون المملكَة.

سألَ الملكُ وُزراءَه وأشرافَ قَومه: ماذا تَرَوْنَ في سياستَي؟

أخذُوا يُنافقونَ ويكذبونَ، ويَصِفُونَ عَهدَه بالعدَالة والمحبَّة.

سـألَ وزراءَه: فـمـا بالُ الذينَ خـرَجُـوا علَى ديننَا وادَّعَـوُا الإيمانَ بغَـيْـر أصنَامنا؟! قَالُوا: كمَا تـعرفُ يا مولانَا، وكمَا أمرتَ، معلَّقـةٌ أجسامُهُم علَى أسْوَارِ المدينةِ وعلَى أبوَابها، ولَم يَعُدْ أحَدٌ يجرُؤُ علَى ارتكَابِ هَذا الخَطأ.

سعدَ الملكُ بهَذه الإجَابة وأمرَ أن تُمَدَّ الموائدُ بأشْهَى الطَّعامِ وأندَرِ المَشْرُوباتِ احتفالاً بهَذَا العيدِ السَّعيدِ.

لكنَّ أحدَ أشْرَاف القَوم (يمليخا) لَم يكُنْ موافقًا علَى مَا رآه وسَمعَه.

إنَّه حقّاً ذُو مكَانة خاصَّة لدَى المَلك، لكنَّه لَم يستطعْ أنْ يسلِّمَ بما رآه أو سمعَه، ولم يسترِحْ عقلُه لما كانَ عليه القومُ من عبادَة الأصْنَام.

ولأنَّه خَشيَ أن ينكشفَ أمرُه لو سألَه الملكُ عَن شَيء قَرَّرَ أن ينسَلَّ خِفْيَةً من بَين الجُموع دونَ أن يشعرَ به أحدٌ.

ونجحَ يمليخا في الانْفلات من الجَمْع، وخرجَ من مقرِّ المَلك، وأخذَ يمْشي ويمْشي، حتَّى خرَجَ من المدينة، فأحسَّ بالتَّعَب، فجلسَ في ظلِّ شجَرة ساهمًا مفكِّرًا حائرًا.

أمَّا مجلسُ المَلك فقَد دخلَ علَيه مَن يُخبرُه بقُدوم جُيوش الفُرْس، فتوقَّفَ عَن الشَّراب والطَّعام، واضطربَ لهذه الأخبَار، فأفاقَ، وأمَرَ بفَضِّ المَجلس إلا من كبَار الوُزرَاء ليشاورَهم في الأمرِ.

ويلاحظُ يمليخا وهُو جالسٌ يتأمَّلُ خلقَ اللهِ أن أحدًا يقبلُ علَيه من بَعيدٍ،

فحاولَ إخفاءَ نَفْسه عَنه، لكنَّه لم يستطِعْ.

كانَ القادمُ أحـدَ أصدقَاء يمليخَا المُخلصـينَ، اكتشفَ غيابَه، فـأخذَ يبحثُ عَنه قلقًا علَيْه، فهَداه قلبُه إلى حيثُ يكونُ.

كانَ صـديقُه هذا مـثلَه تمامًـا، واقعًا فـي حَيرة ممَّا رَأَى وسَـمعَ، ورَأَى أنَّ هُجومَ الفُرس من قَبيل عِقَاب اللهِ لهُم.

فضَّل يمليخَا أنْ يذهبَا إلى بَيْته، وما إن وَصلاَ حتَّى توافدَ على بَيت يمليخا ثالثٌ ورابعٌ وخـامسٌ، وكلُّهم رافضُـونَ لهَـذه الحجَـارةِ الصَّلْدَة التي لا تَنفعُ ولا تضرُّ، ولهذَا الملكِ الطَّاغيةِ وأفعَاله الظَّالمة.

ويذهبُ أحدُ الوُشـاة إلى الملكِ فيبلغُه بما يفـعلُه يمليخا وأصدقـاؤُه، فأمرَ الملكُ بإحضَارهم أمامَه.

ويدخُلُ الفتيةُ علَى الملك وهُوَ في ذروَة غضَـبه، فقالَ لهُم: ما الَّذي بَلغَني عَنكُم؟! أحقّا تختَارُونَ إلهًا غَيـرَ أصنَامنا وملكًا غَيري؟ قالُوا: حـقّاً يا أيها الملك.

إنَّ إلهَنَا هُو مَلكُ السَّـموات والأرض وما بينَهـما، وهوَ أعظمُ وأجَلُّ من

كُلِّ شَيء، وهُو المعبُودُ الأوحَدُ، لَه نَسجدُ ، وإيَّاهُ نعبدُ، ونسبِّحُ بحَمْده ليلَ نهارَ.

قالَ الملكُ: لَولا أنَّ بَيني وبينَكم مودةً طَويلةً لقتلتُكم جَميعًا، وعلَّقْتُ أجسامَكم على أسْوَار المدينة. ولهذَا أُرْجِئُ قتلَكم ومحاسبتَكم؛ فلعلَّكم ترجعوَن عَمَّا في عُقولكم.

سأمهلُكم ثلاثةَ أيَّام، تعودونَ بعدَها هُنا.

فإمَّا أن تعودُوا إلى آلهَتنا، وإمَّا قتلتُكم، وأرَحْتُ القومَ منكُم.

كانَ تهديدًا واضحًا صارخًا للأصدقَاء، خرجُوا بعدَه يفكِّرون ماذا يصنعونَ. عزمَ الأصدقاءُ الستَّةُ علَى الرَّحيل في الصَّباح البَاكر من المدينَة.

باعَ يمليخا بعضَ غلاله، واحتفظَ بالدَّراهم، وحملَ كلٌّ منهُم بعضَ زَادٍ ومَاءً، وتنكَّروا في زِيِّ فُقَراء القَوم، وخرَجُوا صباحًا.

وفي أثنَاء سَيرِهم رأَوْا أحدَ الرُّعَاة ، فطلَبُوا منه لَبنًا، فقدَّمَه إلَيهم، ثم قالَ:

- ما أظنُّكم ـ والله ـ فقراءَ، وأحسبُكم من أهْل النِّعمةِ والجَاه، وإنَّ لكُم شأنًا، فأخبرُوني؛ فإنَّ عنديَ ما تريدونَ.

فقصُّوا علَيه قصتَهم، فقالَ:

- أنَا أيضًا والله قَدْ وقعَ في نفْسي مَا وقعَ لكُم، ولستُ أقلَّ منكُم إيمانًا وتسليمًا بالله الوَاحد القهَّار.

ثُم طَلَبَ منهُم الانتظارَ قليلاً حتَّى يرُدَّ الأغنامَ إلى صَاحبها، ثمَّ عادَ مسرعًا، ومضَى معَهم، فتبعَهم كلبُ الرَّاعي، فأرادَ أن يمنعَه وهو يأبَى أن ينصرفَ عنهُم، فسمحُوا له بمصاحبَتهم.

ثُمَّ دلَّهُم الرَّاعي علَى كَهف في جبَل بَعيد، فدخَلُوه جميعًا، الأصدقاءُ الستةُ والرَّاعي. وهناكَ وجدُوا ثمارًا، فأكَلُوا وشَربُوا، ثُمَّ استراحَوا قليلاً.

وتركُوا الكَلبَ جالسًا باسطًا ذراعَيْه يحرسُهم علَى عَتَبة الكَهْف.

ومَا هيَ إلا لحظاتٌ قليلةٌ من الراحَة حتَّى أخذَ منهم التَّعبُ مبلغًا فاستسلمُوا جميعًا للنَّوم.

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾. [الكهف: ٩ - ١١]

ويَسألُ المَلكُ في اليَـوم الثَّالث عن الفتـيَة، فعلمَ أنَّـهم هَربُوا خارجَ المدينَة فثارَ وغضبَ، وجَمعَ حُرَّاسَـه وأعوانَه، ولاحَقُوهم حتَّى وصَلُوا إلى الكَهْفِ فإذَا الكلبُ نائمٌ في بَابه.

فدخَلُوا الكَهفَ، فأدركُوا أنَّ الجميعَ نائمونَ.

قالَ الملكُ: أرأيتُم؟! لـو أردتُ أن أعاقبَـهم لَمَا عاقبـتُهم بمثْل مـا هُم علَيه الآنَ. ثُمَّ أمـرَ بسـدِّ الكَهف علَيـهم، فسـدُّوه بالحـجَـارة بعدَ أنْ كـتبَ أحـدُ الحُكَماء على أحَد الأحجَار كلمَات عَن الفتيَة السبعَة.

كـانَ الكهفُ مظلمًا إلا مـن كُوَّة صـغيـرة تنفذُ مـنهَا أشـعَّةُ الشَّـمس إذا طلعَتْ، فـتمنَحُـهم الضَّوءَ والحـرارةَ دونَ أن تصلَ أشعَّـتُهـا إليهم، وتـغرُبُ فتَميلُ عَنهم وتبتعدُ. وهكذَا أراد اللهُ أن يحفظَ أجسامَهم ولا تَفْنَى!

وظلُّوا في كَهْفهم ثَلاثَمائة سنةٍ وتسعَ سَنواتٍ.

ولَو أنَّ أحدًا نَظرَ إلَيـهم لَوجدَهم يتـقلَّبونَ في نَوْمـهم ذاتَ اليَمين وذاتَ الشِّمـال، وكَلبُهم باسطٌ ذِراعَيْه عَلى حـالهمَا، يغطُّ هوَ الآخـرُ في نَومِه على بَاب الكَهفِ.

﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾. [الكهف: ١٧، ١٨]

ومرَّت عليهم السِّنون الطويلةُ، ثلاثةُ قُرون كَاملةٌ حتَّى ساقَ اللهُ أحدَ الرُّعاة بغَنَمه إلى الكَهْف، فوجَدَه مَسدودًا بالحجَارة. قالَ الرَّاعي لنَفْسه: إنَّه كهفٌ! لَو فتحتُه وأودعتُ فيه الأغنامَ لحَفِظَها من الضَّياع.

أقبلَ الرَّاعي على الحجَارة، وأخذَ يُزيلُها حَجَرًا حجَرًا، حتَّى فتحَ بابَ الكَهف. وحاولَ أنْ يُدخلَ أغنامَه إليه، ففُوجئَ بهم، فتملَّكَه الذُّعرُ، وولَّى هاربًا وهو يستغيثُ.

تيقَّظَ الفتيةُ على استغاثَة الرَّاعي، ونبحَ الكلبُ.

نظرُوا إلى أنفُسهم، وتعجَّبُوا؛ لقدْ تغيَّرَتْ أشكالُهم، وطالَتْ شُعُورُهم.

قالَ أحدُهم: لقدْ غفلْنَا هذه اللَّيلَةَ عَن ذِكْر اللَّه تعَالَى، فقُومُوا بنَا للصَّلاة.

خرجَ الجميعُ إلى عَين مَاء كانتْ قريبةً من الكَهْفِ، فلم يجدوهَا، ولَم يَجدُوا الأشجارَ التي كانتْ تقومُ بجَانبها.

عادَ الجميعُ إلى الكَهْف مُتسائِلينَ حائرينَ! سألَ أحدُهم: أتدرُونُ كَم من الوَقْت مرَّ بنا ونحنُ نيامٌ؟

أجابَ أحدُهم: ما أظنُّ أننَا نِمْنَا كَثيرًا ، إنَّه يومٌ أو بعضُ يَومٍ.

قالَ الثالثُ: دعُونا من تسَاؤلاتِكم؛ فاللهُ يعلمُ كَم من الوَقْتِ نِمْنَا.

إنَّني الآنَ أحسُّ بالجُوعِ.

صاحُوا جميعًا: ونحنُ أيضًا نشعرُ بالجُوع، كأنَّنا لَم نأكُلْ من سنينَ.

قالَ رابعُهم: كيفَ نحصُلُ علَى الطَّعام إذنْ في هَذه الصَّحْراء.

قالَ خامسُهم: ننطلقُ إلى المدينَةِ، نشترِي من السُّوقِ.

قالَ سادسُهم: كلُّنا؟! إنه خطرٌ علَينا أن نذهبَ جميعًا.

قالَ سابعُهم: ليذهبْ واحدٌ منَّا إلى المدينةِ، ولْيَكنْ حَذِرًا حتَّى لا يعرِفَه أحدٌ فيبلغَ عَنا الملكَ فيقتلَنَا.

﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا

أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ [الكهف: ١٩، ٢٠]

تطوَّعَ يمليخا بالقيَام بهَذه المهمَّة.

قالَ للرَّاعي الذي معَهم: أعْطني ثوبَك يا أخي، وخُذْ أنتَ ثَوبي؛ حتَّى أكونَ أكثرَ حَذَرًا وتخفِّيًا.

أعطاهُ الرَّاعي ثوبَه، فلبسَه يمليخا، ثُم أخرجَ بعضَ الدَّراهِم التي كانَ يحتفظُ بهَا منذُ باعَ بعضَ الغِلال، وأخذَها معَه، وحيَّاهم خارجًا.

وفي أثْناء خُروجه رَأَى الكَلبَ قد طالَ شَعرُه هو الآخرُ، وخفَّ نباحُه، فمسَحَ على رَأسه، فطأطَأَ الكَلبُ رأسَه، وهزَّ ذيلَه، وانتفضَ سعيدًا بوجُود أصدقائه على قَيْدِ الحياةِ!

اتَّجهَ يمليخَا إلى المدينَة، فوجدَها محاطَةً بأسْوارٍ عَالية، وبوَّابات جَميلة. فشكَّ في ذاكرَته، لكنَّه لم يُلق بالاً لشَيء. دخلَ المدينَةَ فلاحظَ أنَّ جُدْرانَها

مكتوبٌ علَيها بخطٍّ جَميلٍ: لا إلهَ إلا اللَّهُ، عيسَى نبيُّ اللهِ.

تعجَّبَ يمليخا من هذه العبَارة التي كُتبتْ في كُلِّ مَكان، وأخذَ يُحدِّثُ نفسَه: ماذَا حدثَ؟! بالأمس فقطْ كانَ الملكُ دقيانوسُ يقتلُ كلَّ من يعترفُ باللَّه، ويعلِّقُ أجسامَهم على الأسوَار والأبوَاب، واليومَ تغيَّرَ كلُّ شَيء.

وتساءَلَ مندهشًا:

- أيمكنُ أنْ يحدُثَ ذلكَ التغييرُ بينَ يَومٍ وليلَةٍ؟! أمَعقولٌ هَذَا؟!

لَم يَستطعْ يمليخَا أنْ يصلَ إلى إجَابة شَافية، لكنَّه أحسَّ بالجُوعِ الشَّديدِ، فرَأَى أن يُرجئَ التَّفكيرَ في هَذه التَّغييرَات حتَّى يشتريَ الطَّعامَ.

دخلَ السُّوقَ فوجدَ أُناسًا لا يعرفُهم، وشَوارعَ لم يكُن لَه بها عهدٌ من قَبلُ، فزادَ عجبُه، لكنَّه فضَّلَ أيضًا ألا يفكِّر في ذلك الآنَ.

أخذَ يمليخَا يَسيرُ حتَّى وصلَ إلى أحَدِ الخبَّازينَ فاقترَبَ منْه، وسألَه: قُلْ لي يا أخِي، ما اسمُ هَذه المَدينَة؟

تبسَّمَ الخبَّازُ، وقالَ:

- أغَريبٌ أنتَ يا أخي؟! إنَّهَا مدينةُ أفسُوسَ.

قالَ يمليخَا: ومَا اسمُك يا أخِي؟

قالَ الخبَّازُ: عبدُ الرَّحْمن.

صمتَ يمليخا قليلاً، وقالَ لنَفْسه: إنَّ اسمَ عَبدَ الرحْمَن ليسَ من الأسْماء التي تَعبُدُ الأصنامَ.

وجدَ يمليخَا نفسَه حائرًا، لكنْ كانَ لا بُدَّ أن يشتريَ الخُبْزَ.

أخرجَ للخبَّاز درهمَين، وقالَ له: أعْطِني خُبزًا.

فلمَّا رأَى الخبَّازُ الدِّرهمَين دهشَ، وحملَهُما إلى مَن يقفُ بجوَاره من البائعينَ، فدهشَ أيضًا، وأخذَ يمرُّ بهما علَى بَعض البَاعَة.

حدَثَ ذلكَ ويمليخَا يزدادُ دهشةً وحيرةً. ثُمَّ جَاءَ الجميعُ يتحدَّثونَ مع يَمليخَا، قالُوا:

- ما هَذه الدَّرَاهمُ التي معَكَ يا رجلُ؟! من أينَ جِئتَ بهَا؟!

قالَ يمليخَا: بعتُ بهَا أمسِ بعضَ غِلالي.

ضحكَ الجميعُ، وقالُوا:

- يا رجُلُ إذا كُنتَ عَثرتَ عَلى كَنْزٍ من هَذه الدَّراهمِ الفضيَّة فأعْطِنا منه.

قالَ يمليخَا: صَدِّقوني يا قومُ، لَم أجدْ كَنزًا ولا شَيئًا عَجيبًا، إنَّها دَراهمُ مَعدودةٌ، جئتُ بهَا لأشتريَ طعامًا لِي ولأصْحَابي. لَم يُصدِّقْه أحَدٌ، واجتمَعُوا عَليه يظنُّونَه وقعَ عَلى كَنْز.

وهنَا حاولَ يمليخَا أن يهربَ منهم عَائدًا إلى الكَهفِ، لكنَّهُم أمسكُوا به وطوَّقُوه، وقادُوه في شَوارعِ المدينةِ، وقالُوا:

- نذهبُ به إلى مَلكِنا.

توقَّفَ يمليخَا فجأةً، وملأه الخوفُ، ثُم سألَهُم:

- أتذهَبونَ بي إلى المَلك دقْيَانُوسَ؟

ضحكَ الجميعُ، وقالُوا: إنَّكَ تَهْذي يا رجلُ، أو تتظاهَرُ بالجهلِ والغَباءِ، ملكُنا ليسَ اسمُه دقْيَانوسَ.

قالَ يمليخَا لنَفسه: أينَ إذنْ هذَا الملكُ الظَّالمُ الجبَّارُ؟!

أدركَ أنَّه دخلَ دائرةَ الحَيْرَة مرةً أخرَى.

واقتربَ الموكبُ من قَصر المَلك، فاستأذَنُوا في الدُّخول، و سُمحَ لهُم.

وقفَ يمليخَا بينَ يَديْ المَلك الذي كانَ يبدُو عَليه الصَّلاحُ، سألَه المَلكُ:

مَا قصتُكَ يا رجلُ؟!

قالَ يمليخَا: زَعمُوا أنَّني وجدتُ كَنزًا حينَما رَأوْا هَذه الدَّراهمَ مَعي.

أعطَى يمليخَا الدَّراهمَ لـلمَلك، فتفحَّصَـها، ثُم قالَ: لا تخَفْ يا رجلُ، إنْ كنتَ حـقّـا وجدْتَ كَنزًا فلَنـا خُمْسُ هذَا الكَـنزِ، ولكَ البَاقي. هـذَا ما تُقِـرُّه الشَّريعةُ.

قالَ يمليـخَا: واللَّهِ ما وجدتُ شَيـئًا. صَدِّقْني يا مَـولايَ، وما أنَا إلا واحدٌ من أعْيانِ هَذه المدينة.

تعجَّبَ الملكُ، وقالَ: لَو أنَّك من مَدينَتنا هَذه فقُلْ لنَا مَنْ تعرفُ بها؟!

أخـذَ يمليخَـا يذكُـرُ أسمـاءَ بَعض النَّاس، والملكُ يسـألُ الجمـيعَ عَن هَذه الأسمَاء فيُنكرونَ وجُودَها، حتَّى ضَجَّ الجميعُ بالضَّحكِ.

ثُم قالَ لَه الملكُ: دَعْنا ممَّا تعرفُه عَن المَدينَة، قُلْ لي هَلْ تَعرفُ دَارَك؟

قالَ يمليخَا بثقَة شَديدة: نَعَمْ، يا سيِّدي.

وهنَا أمرَ المِلكُ أن يَصحبَه جماعةٌ من أعوَانه حتَّى يَدُلَّهم علَى دَاره.

خرجَ الجميعُ من القَصْر، وسارَ يمليخَا معَهم، فوجدَ كلَّ شَيء في المدينَة قد تغيَّرَ ، الشوارعُ، البيوتُ، حتَّى وجُوهُ النَّاس وأزياؤهم قد تغيَّرتْ.

أدركَ أنَّه لنْ يُفلحَ في الوُصول إلى دَاره.

توجَّه إلى السَّماء داعيًا اللهَ أن يُخرجَه من هَذا المَأزِق، فاستجابَ اللهُ لَه وأوقفَه أمامَ بَاب أحَد الدُّور، وقالَ لِمَنْ مَعَه:

- هَذه دَاري يا قومُ.

قرعَ البابَ، فخرجَ من الدَّار شيخٌ كبيرُ السِّنِّ.

قالَ أحَدُ الأعْوان للشَّيخِ: هذَا الرجلُ يزعُمُ أنَّ هَذه دارُه. فمَا قولُكَ؟

فغضبَ الشَّيخُ، وقالَ:

- بلْ هيَ دَاري أنَا واللَّه.

وهُنَا تقدَّمَ يمليخَا إلى الشَّيخ، وقالَ:

- أيُّها الشَّيخُ الكريمُ، أنا اسْمي يمليخَا بنُ قسطينَ، هَذه دَاري، وليَ فيهَا علاماتُ كَذَا وكَذَا.

فلمَّا سمعَ الشَّيخُ ذلكَ بكَى مثلَ الطِّفْل، وأقبلَ يحتضنُ يمليخَا ويقبِّلُهُ ويقولُ:

- هذَا جدٌّ جدِّي، وهو أحَدُ الفتية الذينَ هربُوا من دقيانوسَ الجبَّارِ.

وعادَ الجميعُ إلى المَلك فتعجَّبَ من قصَّته. وسألَ يمليخَا الملكَ عن دقيانوسَ، فقالَ الملكُ: إنَّه مَلكٌ قَديمٌ كافرٌ جبَّارٌ ظالمٌ، كانَ يحكمُ المدينةَ منذُ ثَلاثمائة سَنةٍ أو يَزيدُ.

ثُم سَأله الملكُ عَن أصحَابه، فقَالَ: إنَّهُم في الغَارِ يا مَولايَ، ينتظرُونَني أعودَ إلَيهم بالطَّعام.

أمَرَ الملكُ أن يُجَهَّزَ طعامٌ وشَرابٌ وكساءٌ، ثم خرجَ في مَوكبه، وبجوَاره يمليخَا، وحَولَه أعوانُه، واتَّجهوا إلى الكَهف، ثُمَّ استأذَنَ يمليخَا أنْ يسبقَ الجميعَ إلى أصحَابه حتَّى يُطَمئنَهم بانتهَاء عَصْرِ المَلكِ الظَّالمِ الجبَّارِ، فسمحَ لَه الملكُ.

ويصلُ يمليخَا إلى الكَهْف، فيمرُّ بالكَلبِ فوجدَه رافعًا أذُنَيهْ ناظرًا إلى فضَاء الصَّحراءِ، ثمَّ أخذَ ينبحُ وينبحُ.

استـقبـلَ الأصدقـاءُ صاحـبَهم عندَ بَابِ الكَهفِ، وأخَـذُوه إلى الدَّاخلِ، وقالُوا: الحمدُ للهِ الذي أنقذَكَ من المَلكِ الظَّالم، وأعادَك إلَينا.

قالَ لَهُم يمليخَا:

- دعُوكُم من دقيانوسَ؛ إنَّ كُلَّ شَيء قد تغيَّرَ.

قالوا: أفصِحْ، نحنُ لا نفهمُ شيئًا ممَّا تقولُ.

قالَ: أتعرفُونَ كَمْ مكَثْنَا في هذَا الكَهفِ؟!

قالُوا: يومًا أو بعضَ يَومٍ.

قالَ: بَلْ لَبِثتُم ثَلاثَمائةِ سَنةٍ وتسعَ سنينَ.

وقَدْ هلكَ دقـيانوسُ وأعوانُه، وانتَـهَى عصرُه ونحنُ نائمـونَ، وأتَى بعدَه أقوامٌ وأقوامٌ وملوكٌ وملوكٌ، وظهَرَ نبيُّ اللهِ عيسَى ابنُ مَريمَ.

قالُوا: أحَقًّا ما تقولُ؟

قالَ: لقَد جاءَكُم ورَائي مَلكُ المدينَةِ نفسُه، وهوَ ملكٌ مؤمنٌ باللهِ تعالَى، فانظُروا ماذَا نفعَلُ معَه؟

قالُوا: لماذَا جاءَنا؟!

قالَ: جاءَ ليسلِّم علَينا، ويطمَئنَّ عَلى أحْوَالنا.

قالَ أحدُهم: نخرُجُ إليه، ونسلِّمُ عليه ما دامَ ملكاً مؤمنًا.

قالَ الثَّاني: أتسمَعونَ نباحَ الكَلب؟ إنه يخشَى علَيْنَا منهُم.

قالَ الثالثُ: ما لَنا وللمَلك يا أصْحَابي ونحنُ لا نعرفُ مَدَى إيمانه؟

قالَ الرابعُ: أخشَى لَو عِشْنا معَهم أن نُصبحَ فتنةً لقَومِنا، ونحنُ لا نحبُّ أنْ نكونَ كَذلكَ.

قالَ الخامسُ: إنَّ اللهَ أكرَمَنَا بهَذه المعْجزة، وعلينَا أنْ نحمَدَه ونشكُرَه.

قالَ السادسُ: إنَّ شُكْرَنَا لله وحَمْدَنَا له هو دعاؤُنا لَه ـ سبحانَه وتعالَى ـ أن يخرجَنا ويخلِّصَنا من هذا المأزق.

قالَ يمليخَا: يبدُو أنَّكُم جميعًا علَى حقٍّ، وأَرَى أنْ ندعُوَ اللهَ أن يقبضَ أرواحَنا إليه حتَّى لا نكونَ فتنةً لغَيرِنا.

اتفقَ الجَميعُ، وسجَدُوا لله، ودَعَوْه أن يقبضَ أرواحَهم، فاستجابَ لهم ربُّهم.

حتَّى الكَلبُ صَمتَ هُو الآخرُ عَن نباحه، وخَرَّ مَيتًا في مَكَانه.

﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ [الكهف: ٢١]

ووصلَ المَلكُ وموكبُه إلى الكَهف، واستبطأُوا يمليخَا، فدخلَ الملكُ علَى الفتْية ، فوجَدَهم جَميعًا موتَى بينَ يَدَي اللَّه، ووجدَ الكَلبَ أيضًا مَيتًا.

سجَدَ الملكُ، وخَرَّ الجميعُ ساجدينَ للَّه العَليِّ القَديرِ، ودَعَوُا اللهَ أن يرحَمَهُم جميعًا.

قالَ الملكُ: هَذه آيةٌ من آياتِ اللَّهِ.

ثُمَّ تنازَعَ الناسُ في أمرْهم، فمَاذَا يفعلونَ بهذه المُعْجزةِ العَظيمةِ التي لَم يَسمَعْ بهَا أحدٌ من قبلُ، والتي رَأوْهَا هُم دُونَ غَيرِهم.

قالَ بعضُهم: هَؤلاء قومٌ صالحون، فلْنَبْنِ عليهمْ مسجداً. فردَّ علَيهم آخرونَ: يا قَومُ، إنَّ المساجدَ للَّه وحدَه، وإنَّ هَؤلاء قومٌ قَد قَبضَ اللهُ أرواحَهم حتَّى لا يَكونُوا فتنةً لقَومْهم، فلنسُدَّ علَيهمْ بَابَ كَهفِهم ولْنَدَعْهم

على حالِهم،ولْنأخذْ العِبرةَ من قصتِّهم؛ فربُّهم أعلَمُ بهمْ.

ويُسدَلُ الستَّارُ علَى هَذه المُعجزَة الخارقَة التي تدلُّ بوضوحٍ على قدرة الله سبحانـه على إعادة الخلق يوم القيامة كمـا كانوا في الدنيا ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الكهف: ٢١] كما تدلُّ هذه الآيةُ والمعجـزةُ العظيمةُ على نصـر الله للمؤمنين ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٣، ١٤] لقد نصرهم الله بإيمانهم وجعلهم آية للناس أجمعين والتي ظلَّتْ مُختفيةً في بَاطن الأرْض ثلاثَمائة سَنة وتسعَ سنينَ، قُضيَ فيهـا بالنَّوم على فِتيَة من عبَادِ اللَّه، ومـعَـهم كلبُـهم، الذي ظلَّ طوالَ هذاَ الزمَـانِ باسطًا ذِراعَـيْـه في بَاب الكَهفِ حارسًا أَمينًا. فسُبحانَ اللَّه العظيمِ!